أهل الصفة
لدراسات التصوف وعلوم التراث

مجلة علمية دولية مُحكمة
تعنى بحقائق علوم الشريعة
ودقائق علوم الحقيقة

ردمد (النسخة المطبوعة): 4967 - 3062
ردمد (النسخة الالكترونية): 4975 - 3062

المجلد الثاني - العدد الأول
ذو الحجة ١٤٤٦هـ
يونيو ٢٠٢٥ م

البيت المحمدي للتصوف

تصدر عن أكاديمية أهل الصفة لدراسات التصوف وعلوم التراث
بمؤسسة البيت المحمدي المشهرة برقم (10684) لسنة (2017)

Ahl al-Suffa Journal for Sufi Studies and Heritage Sciences Vol. 2 No. 1, pp. 107-130 (June.2025)
DOI: https://doi.org/10.70703/qcr43768
E-ISSN 3062-4975/ ISSN 3062-4967

قصدية الأخلاق في الفكر الصوفي السني من خلال قواعد التصوف للشيخ أحمد زروق

THE INTENTIONALITY OF ETHICS IN SUNNI SUFI THOUGHT: AN ANALYSIS OF SHEIKH AHMAD ZARRUQ'S RULES OF SUFISM[1]

حميد حقي
جامعة السلطان مولاي سليمان، المغرب

Hamid Haqqi
Sultan Moulay Slimane University, Morocco

[1] Article received: January 2025; article accepted: April 2025

الملخص:

يقارب هذا البحث قضية قصديَّة الأخلاق في الفكر الصوفي السني، من خلال قراءة تحليلية لكتاب «قواعد التصوف» للشيخ أحمد زروق، أحد أعلام التصوف السني، الساعي إلى ترشيد التجربة الصوفية وتأصيلها على ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية. ويهدف البحث إلى تجلية العلاقة القائمة بين التصوف والأخلاق في التجربة الزروقية، بما هي علاقة تأسيس لا تبعية، ومقصد لا نتيجة، إذ تتجلى الأخلاق في تصور زروق كمقصد منشود للتصوف، لا كعرض لاحق له، كما يسعى إلى الكشف عن الصورة التي تتحقق بها تزكية النفس وإصلاحها ضمن منظور الشيخ، القائم على الجمع بين مجاهدة النفس وحملها على مقتضى الشريعة، وبين تهذيب السلوك وفق مراتب الطريق. وقد خلص البحث من تحليل القواعد الزروقية إلى أن التصوف عند زروق مرتكز على قصدية أخلاقية متأصلة في نصوص الوحي، لا تنفصل عن الأحكام الفقهية ولا تعارضها، بل تتكامل معها وتعمل على بث الرُّوح فيها، من خلال استحضار المقصد، وتحقيق النية، وربط العمل بغاياته الأخلاقية العليا، وبهذا الاعتبار فإن التصوف الزروقي يمثل صيغة أخلاقية وتربوية متكاملة، تجعل من السلوك التعبدي وسيلة للسمو الإنساني، وتعيد وصل الروح بالشريعة، والظاهر بالباطن.

Abstract:

This study examines the intentional orientation toward ethics within Sunni Sufi thought through an analytical reading of Sheikh Ahmad Zarruq's Rules of Sufism (Qawa'id al-Tasawwuf). Zarruq, a distinguished figure in Sunni Sufism, endeavored to systematize and authenticate Sufi practice within the framework of Qur'anic and Prophetic tradition. The research seeks to clarify the relationship between Sufism and ethics in Zarruq's intellectual framework, demonstrating that this relationship constitutes a foundational principle rather than a subsidiary concern, ethics serves as the fundamental objective of Sufism rather than merely its byproduct. Within Zarruq's

conceptual scheme, ethics emerges as the intended purpose of Sufi practice, not as an incidental outcome. The study further investigates how spiritual purification and moral reformation are actualized within his theoretical perspective, which synthesizes the disciplining of the ego with adherence to Islamic law, while simultaneously refining conduct according to the hierarchical stages of the spiritual path. Analysis of Zarruq's foundational principles reveals that his understanding of Sufism rests upon an ethical intentionality deeply rooted in scriptural sources. This ethical framework neither diverges from nor contradicts juridical rulings but rather complements and vivifies them through sustained attention to ultimate purposes, the cultivation of proper intention, and the alignment of practice with transcendent moral objectives. Zarruqian Sufism thus represents a comprehensive ethical and pedagogical system that transforms devotional observance into a vehicle for human elevation, reintegrating the spiritual dimension with legal prescription and harmonizing external form with internal reality.

الكلمات المفتاحية: التصوف، القصدية، الأخلاق، أخلاق المتصوفة، التصوف السني.

Keywords: Sufism, intentionality, ethics, Sufi moral philosophy, Sunni Sufism.

المقدمة

إن طبيعة المرحلة التي تمر بها الأمة الإسلامية اليوم وما حل بها من أزمات فقدان الذات، وفراغ الروح، وضعف التخلق بأخلاق الوحي، ونزوع نحو المادية، ومظاهر الانسلاخ من الفطرة... كل ذلك يجعل حديث التصوف الإسلامي حديثًا بالغ الأهمية في نظر كثير من مفكري الإسلام؛ ذلك أن التصوف الإسلامي باعتباره الحامل لمضامين التربية والتخلق يمثل إحدى دعائم الرقي بحياة الأفراد والجماعات، والأمم كذلك.

أولًا: أهمية البحث وأسباب اختيار الموضوع:

بالنظر إلى كثرة ما أُلِّف في التصوف الإسلامي قديمًا وحديثًا، واعتبارًا لتعدد المقاربات والمناهج التي تناولته، فقد ارتأيت أن أستند في هذا العمل إلى كتاب يكاد يكون مرجعًا لا غنى عنه لكل باحث في التصوف الإسلامي الأصيل، الذي ينطلق من الوحي ويحتكم إليه، إنه كتاب «قواعد التصوف» للشيخ أحمد زروق؛ وهذا الاختيار له ما يبرره على المستويين العلمي والمنهجي:

أولًا: لأن كتاب «قواعد التصوف» هو تأصيل وتقعيد شرعي للتربية الصوفية الملتزمة بالكتاب والسنة، ذلك أن الشيخ زروق هو أحد المتصوفة المغاربة الذين عرفوا بتقيدهم بالوحي تأصيلًا وممارسة.

ثانيًا: لأن صاحب الكتاب تميز بفكره الوسطي المعتدل في تصوفه؛ وهذا طابع يطبع التصوف المغربي عمومًا.

ثالثًا: نظرًا للعلاقة الوطيدة بين التصوف الإسلامي والفقه المالكي؛ وهذا ما سعى الشيخ زروق إلى إبرازه من خلال مجموعة من القواعد العلمية والضوابط الشرعية التي يؤكد من خلالها على أن «لا تصوف إلا بفقه؛ إذ لا تُعرف أحكام الله الظاهرة إلا منه، ولا فقه إلا بتصوف؛ إذ لا عمل إلا بصدق وتوجه ولا هما إلَّا بإيمان؛ إذ لا يصح واحد منهما دونه»[2].

---

[2] أحمد زروق، قواعد التصوف، ضبط وتعليق محمود بيروتي، الطبعة الأولى، (دمشق: دار البيروتي، 2004)، ص15.

ثانيًا: إشكالية البحث:

إن الملاحظ على مقاربات كثير من الباحثين لموضوعات التربية الصوفية طغيان الجانب النظري التجريدي، وإغراقها المفرط في الجانب التاريخي، ودراسة المفاهيم والأعلام، دون إيلاء أهمية كبيرة لكثير من الأسئلة التي تتصل اتصالًا مباشرًا بواقع الأمة وأزماتها؛ ومن ذلك سؤال قصدية الأخلاق في التجربة الصوفية، وهو سؤال إشكالي يستدعي التعمُّق في فهم علاقة الأخلاق بالمقاصد في الفكر الصوفي.

ومن الأسئلة الإجرائية التي تتصل به إذا ما ربطناه بتجربة الشيخ زروق: ما دلالة الأخلاق في فكر الشيخ زروق؟ هل هي فطرية أم مكتسبة؟ ثم ما هي مجالات المقاصد الأخلاقية عنده؟ وإلى أيّ حد يمكننا أن نعول على المقاصد الأخلاقية في إصلاح النفس والرقي بها؛ سواء في علاقتها بذاتها أو بخالقها أو بالأنفس المحيطة بها؟

ثالثًا: أهداف البحث:

تسعى هذه الدراسة إلى مقاربة إشكالية قصدية الأخلاق من خلال قراءة فاحصة تحليلية لكتاب «قواعد التصوف» للشيخ أحمد زروق؛ الذي يعد بحق أحد أعمدة الفكر الصوفي السني بالمغرب.

والهدف من البحث هو السعي نحو استجلاء العلاقة القائمة بين التصوف والأخلاق في التجربة الصوفية من جهة، وإلى محاولة إبراز كيفية تحقيق مقصد تزكية النفس وإصلاحها وفق منظور الشيخ زروق من جهة ثانية، وإلى بيان صلة مرتبة المتصوف باستقامة الإنسان في علاقته بخالقه وبنفسه والآخرين من حوله من جهة ثالثة.

رابعًا: الدراسات السابقة:

لقد حظيت شخصية الشيخ أحمد زروق، رحمه الله، بعناية ظاهرة في مدونة البحث المعاصر، خصوصًا في فلك الدراسات الصوفية ذات المنزع السني والإصلاحي؛ فقد استوقف الباحثين ما اتسمت به تجربته من قدرة فريدة على الجمع بين التحقيق والتدقيق، والتنظير والتبصير، مما جعل خطابه الصوفي مرجعًا حجاجيًّا في تقويم الانحراف، وتقعيد السلوك، وتأصيل المقصد الأخلاقي داخل بناء التصوف السني، وتبعًا لذلك، تعددت

مقاربات الباحثين في تحليل تجربته، واختلفت زوايا نظرهم، بحسب خلفياتهم المعرفية وأهدافهم المنهجية.

وفيما يلي عرض لأهم الدراسات السابقة المرتبطة بشخص الشيخ زروق أو بفكره الصوفي:

– «ملامح التجديد في الفكر الصوفي عند الشيخ أحمد زروق (رحمه الله)»، وهي دراسة محكمة للباحث جمال أحمد بادي، نُشرت سنة 2000م، ضمن العدد 22 من مجلة الفكر الإسلامي المعاصر (إسلامية المعرفة سابقًا).

انشغل الباحث من خلالها بتتبع بعض آليات التجديد في الخطاب الزروقي، مبرزًا مسعاه في تخليص التصوف من شوائب الابتداع والغلو، مع الوقوف عند بعض معالم مشروعه الإصلاحي العام.

– «ملامح الفكر المقاصدي في الخطاب الصوفي عند الشيخ أحمد زروق نموذجًا»، وهي ورقة بحثية قدمها الباحث إدريس بووانو، ضمن أشغال المؤتمر الدولي الحادي عشر، المنعقد سنة 2008م من طرف الجامعة الإفريقية العقيد أحمد دراية بأدرار، في موضوع: التصوف في الإسلام والتحديات المعاصرة.

وقد سعى الباحث من خلالها إلى استكشاف البعد المقاصدي في الخطاب الزروقي، محاولًا الكشف عن انتظام الخلفية الأخلاقية والوظيفية في منظومته الصوفية، ومدى انسجامها مع معايير الشريعة ومقاصدها.

– «منهج الشيخ أحمد زروق البرنسي في تصحيح الفكر الصوفي من خلال كتاب: قواعد التصوف»، وهي دراسة علمية محكمة للباحث عبد الكريم بناني، نُشرت سنة 2013م، ضمن العدد السادس من مجلة الفكر المتوسطي، الصادرة عن مختبر الديانات والحضارات في حوض البحر المتوسط.

وقد عمد الباحث إلى تتبع المسار التاريخي للتصوف، لينتهي إلى تحليل الكتاب المذكور باعتباره محاولة نسقية لتصحيح الانحرافات المنهجية والعقدية في بعض مسالك التصوف.

– «التصوف بين النظرية والممارسة عند الشيخ أحمد زروق البرنسي»، وهي مقالة علمية محكمة للباحث عثمان بلخير، نُشرت كذلك سنة 2013م، ضمن العدد السادس من مجلة الفكر المتوسطي.

وقد سعى الكاتب إلى الموازنة بين تنظيرات الشيخ زروق وممارساته التربوية، موضحًا وحدة الخطاب بين الجانب النظري والسلوكي، ودقة تنزيل المفاهيم على الوقائع الأخلاقية.

– «ملامح الدرس العقدي عند صوفية الغرب الإسلامي: الشيخ أحمد زروق نموذجًا»، وهي أطروحة دكتوراه تقدم بها الباحث هشام الحليمي سنة 2017م بكلية أصول الدين بتطوان.

وقد حاول الباحث تسليط الضوء على تمثلات البعد العقدي في خطاب صوفية الغرب الإسلامي، مخصصًا جانبًا من عمله لتحليل اختيارات الشيخ زروق ومواقفه العقائدية، بما فيها علاقته بأهل الكلام والمخالفين من الطوائف.

– «الشيخ زروق ودوره في التقعيد لعلم السلوك: كتاب قواعد التصوف أنموذجًا»، وهي دراسة محكمة للباحث عبد الله مصطفى حديد، نُشرت سنة 2022م، ضمن العدد السادس من مجلة أصول الدين الصادرة عن كلية الدعوة وأصول الدين بليبيا.

وقد انصب اهتمام الباحث على إبراز البعد العلمي والمنهجي في قواعد التصوف، مع التركيز على الجوانب التقعيدية والتنظيمية التي جعلت من الكتاب مرجعًا في علم السلوك.

– «إسهام الشيخ أحمد زروق في تقويم الانحرافات الصوفية من خلال مؤلفه "عدة المريد الصادق"»، وهي دراسة محكمة للباحث محمد العمراني، نشرت سنة 2024م، ضمن المؤلَّف الجماعي: «التصوف: قضايا وعلامات ووظائف»، الصادر عن كلية الآداب والعلوم الإنسانية بمدينة الجديدة.

وقد تناول الباحث أهم مواقف الشيخ زروق من مظاهر الانحراف السلوكي والصوفي، مبرزًا صرامته في محاسبة النفس، وحرصه على تهذيب الطريق وتطهيره من آفات الدخلاء.

وهذه الدراسات كلها وإن كانت قد أضاءت جوانب مهمة من تجربة الشيخ زروق في التأصيل والتقويم والتجديد، فإنها لم تحط بموضوع البحث الذي أقصد إلى مقاربته؛ إذ

لم تفرد الأخلاق في مجال التصوف بالدراسة ولا بالتحليل المقصدي المطلوب، فجل ما كتب عن الشيخ زروق إنما التفت إلى جوانب يطبعها طابع العمومية والتجريد؛ من قبيل "التجديد" أو "التكامل" أو "التصحيح"، دون الكشف عن البنية القصدية للمنظومة الأخلاقية الزروقية في علاقتها بتأسيس التصوف السني.

وهنا تكمن أهمية هذا البحث وجِدَّته وأصالته، في كونه يسعى إلى الكشف عن مقصدية الأخلاق بوصفها أساس التجربة الصوفية السنية، الأمر الذي يقتضي إعادة قراءة متن الشيخ زروق، وفق منظور شمولي قاصد إلى تجاوز التجزيء الفصامي الذي قد يهيمن على المقاربات التقليدية.

خامسًا: منهج البحث:

تعتمد هذه الدراسة منهجًا استقرائيًّا تحليليًّا؛ يقوم على تتبع قواعد التصوف عند الشيخ زروق كما وردت في نصوصه، ثم تحليلها تحليلًا وظيفيًّا، بغرض الكشف عن المقاصد الأخلاقية التي تنتظم بنيتها، ثم تصنيف هذه المقاصد بحسب مجالاتها، ثم استثمار ذلك في استنتاج الدلالات الممكنة لفهم واقعنا المعاصر ومواجهة أزماته التربوية والأخلاقية.

فالمنهج الاستقرائي يمكِّن من رصد المفاهيم الأخلاقية والمقاصدية من خلال عبارات المؤلِّف وسياقات استعمالها، بينما يتيح المنهج التحليلي تفكيك بنيتها، وبيان أبعادها ووظائفها داخل متن زروق، بما يسمح بتقديم قراءة متماسكة تنسجم مع رُوح التصوف السني.

سادسًا: خطة البحث:

انتظمت مادة هذا البحث في خطة محكمة ومتناسقة، تراعي خصوصية الموضوع وأبعاده المنهجية، استفتحتها بعد هذه المقدمة بتمهيد خصصته للتعريف بالشيخ زروق وبكتابه موضوع الدراسة.

ثم أعقبت ذلك بمبحثين مترابطين؛ خصصت الأول منهما لبيان البعد الأخلاقي في التصوف كما تدل عليه عبارات الشيخ زروق، من خلال تعريفه للتصوف بوصفه علمًا يروم تهذيب النفس وتحقيق حسن الخلق، واستحضار أبرز ملامح التصور الأخلاقي لديه.

أما المبحث الثاني فقد بسطت فيه القول في مجالات المقاصد الأخلاقية عند الشيخ زروق، مقسمًا إيَّاها إلى ثلاثة ميادين رئيسة: علاقة المتصوف بربه، وعلاقته بنفسه، وعلاقته بالخلق.

وتعرضت لتحليل أخلاق المتصوف في هذه المجالات، مفصلًا في الحديث عن الإخلاص، والتقوى، والزهد، والصبر، والصدق، والتواضع، وغيرها من الأخلاق المركزية في التربية الصوفية.

وختمت البحث بخاتمة جمعت أهم النتائج المتوصَّل إليها.

تمهيد:

قبل الشروع في بسط القول في موضوع البحث، يحسن أن نقدم نبذة موجزة عن شخصية الشيخ أحمد زروق، وعن كتابه الذي وقع عليه الاختيار مجالًا للدراسة، مع الإشارة إلى أبرز معالم المنهج الذي اعتمده.

فالشيخ زروق –رحمه الله– (ت: 899هـ) هو شهاب الدين أبو العباس أحمد بن أحمد بن محمد بن عيسى البرنسي الفاسي، اشتهر بلقب "زروق"، وهو لقب جده الذي عرف بزرقة عينيه.

أما "البرنسي" فانتساب إلى قبيلة بربرية تقع بين فاس وتازة.

ولد الشيخ يوم الخميس، الثامن والعشرين من محرم سنة (846هـ)، كما أثبت ذلك في كناشته الخاصة، حيث قال: «ولدت يوم الخميس طلوع الشمس ثامن وعشرين من المحرم سنة ست وأربعين وثمانمائة، وتوفيت أمي يوم السبت بعده وأبي يوم الثلاثاء بعده كلاهما في سابعي، فبقيت بعين الله بين جدتي الفقيهة أم البنين فكفلتني حتى بلغت العشر وحفظت القرآن وتعلمت صناعة الخرز...»[3].

وبذلك نشأ يتيمًا، في رعاية جدته الفقيهة الصالحة، التي عنيت بتربيته على طاعة الله، والاستقامة على شرعه، وشحذ همته بالجد والمثابرة، ثم ما لبث عند بلوغه السادسة

---

[3] أحمد بابا التنبكتي، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، تحقيق وتقديم: عبد الحميد عبد الله الهرامة، ط. 2، (طرابلس: دار الكاتب، 2000م)، 130.

عشرة من عمره، أن انصرف إلى طلب العلم، فشد الرحال إلى جامع القرويين، ونهل من معين علوم الفقه المالكي وعلوم القرآن والحديث والعقيدة والتصوف، وكان من أوائل الكتب التي تلقاها واعتنى بها كتاب «الرسالة» لابن أبي زيد القيرواني، مما يدل على عمق تكوينه الشرعي وانطلاقه من أمهات المتون العلمية الأصيلة.

وقد أورد صاحب «نيل الابتهاج بتطريز الديباج»[4] قائمة بشيوخ الشيخ زروق، فذكر منهم الإمام عبد الرحمن الثعالبي، والولي إبراهيم التازي، والمشذالي، والشيخ حلولو، والسراج الصغير، والحافظ التنسي، والإمام السنوسي، وابن زكري، وأبو مهدي عيسى المواسي، كما تلقى عن جماعة من علماء المشرق كالنور السنهوري، والحافظ السخاوي، والقطب أحمد بن عقبة الحضرمي، وغيرهم.

أما **مؤلَّفاته**: فهي كثيرة ومتنوعة، تتسم بالتحرير مع الاختصار، وتمتاز بفوائد غزيرة وتحقيقات دقيقة، خاصة في مجال التصوف، الذي انفرد بجودة التأليف فيه، ومن أبرزها: «قواعد التصوف»، و«عدة المريد الصادق»، و«النصيحة الكافية لمن خصه الله بالعافية»، و«شرحه على الرسالة»، و«شرحه على الحكم العطائية»، وله أيضًا «ذكر حوادث الوقت» الذي ضمنه نقدًا لكثير من البدع الصوفية، و«تعليقات مختصرة على صحيح البخاري»، وقد ختم التنبكتي عرضه بالإشارة إلى أن الشيخ زروق بلغ منزلة علمية رفيعة، وأن تراثه جدير بجمع مستقل لاستكشاف فوائده وحكمه ورسائله.

ولا يخفى أن سيرة الشيخ زروق العلمية والروحية تميزت بسعة الآفاق وكثرة الرحلات، مما أكسبه تجربة فريدة واحتكاكًا واسعًا بأعلام الأمصار المختلفة، وهو ما أثرى تكوينه المعرفي والتربوي، «وما من شك في أن كثرة أسفار زروق وسياحته من المغرب إلى المشرق والعكس، كان لها أثرها في علاقاته بأهل البلاد التي حلَّ بها؛ من فاس إلى تلمسان إلى بجاية ثم تونس وطرابلس والقاهرة، إلى مكة المكرمة والمدينة المنورة، حتى عيذاب على ساحل البحر الأحمر وإلى واحة أوجلة في الصحراء الليبية، إلى أن استقر أخيرًا في

---

[4] التنبكتي، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، ص131-132

مصراتة»[5]. ثم إنه «لم يكن مجرد شارح أو معلق على من سبقه؛ بل كان مسهمًا فعالًا في تطور التصوف في الشمال الأفريقي والفكر الإسلامي على وجه العموم، وفي الجانب النقدي بصفة أخص – إنه – في الحق – يمثل العقل المسلم المتحرر من الأوهام والخرافات، الجريء في تحليلاته وتعليقاته، القادر على إيصال أفكاره بأجمل لغة وأوضحها في آن»[6].

فهو أحد أقطاب التصوف الإسلامي في العالم الإسلامي بشكل عام، وفي المغرب بشكل خاص، وهو أحد الأعلام الأفذاذ الذين أصلوا للتربية الصوفية من القرآن والسنة، كما أنه انتقد البدعة وحاربها في الممارسة الصوفية، دون تعصب لأي طريقة؛ إذ جعل الوحي ميزانًا ينطلق منه ويحتكم إليه، كما جعل الفقه في خدمة التصوف. «وما من شك في أن الشيخ أحمد زروق رغم ما قدمت عنه من أبحاث ودراسات متنوعة، فإن عالمه ما زال مليئًا بالدرر والنفائس، التي تستلزم مزيدًا من التنقيب في مكنوناتها وتفاصيلها»[7]، خاصة فيما يتعلق بسؤال الأخلاق في التربية الصوفية.

ويعد كتابه «قواعد التصوف» صورة حقيقية للتصوف الإسلامي الذي يجعل من أسمى غاياته إصلاح القلوب، من خلال طائفة من القواعد التي تؤصل للمقاصد الأخلاقية التي يشترط توفرها في المؤمن عمومًا، وليس المتصوف فحسب، سواء في علاقته مع خالقه سبحانه، أو مع نفسه، أو في تعامله مع الناس.

والكتاب من الحجم المتوسط، بحيث لا تتجاوز صفحاته (303) صفحة، وقد طبع عدة طبعات.

وأما منهجه في كتابه هذا فيمكن تلخيصه في النقاط الآتية:

- ينطلق من الكتاب والسنة ليؤصل للقاعدة، أو يعلل الفكرة.

---

[5] علي فهمي خشيم، أحمد زروق والزروقية: دراسة حياة وفكر ومذهب وطريقة، الطبعة الثالثة (ليبيا: دار المدار الإسلامي، 2002م)، ص 11.

[6] المصدر السابق، ص13.

[7] هشام الحليمي، مدرسة الشيخ زروق في الإصلاح الصوفي: التصورات والمبادئ، مجلة قوت القلوب، العدد المزدوج 5–6 (2015م)، ص 296.

- لا ينتقد فقط من أجل النقد، وإنما ينتقد من أجل إتمام البناء.
- يعرض آراء العلماء في المسألة، ثم يوجهها ويرجح منها ما رجحه الدليل.
- يرد كل بدعة يقتضيها سياق الكلام، حتى ولو خالف فيها شيوخه.

المبحث الأول

البعد الأخلاقي في تصوف الشيخ زروق

ينطلق الشيخ زروق في كتابه من قاعدة أساسية، هي في تقديري الأرضية التي يبني عليها كل الأطروحات والأفكار؛ وهي أن علم التصوف علم مختص في «تمرين النفس لإثبات حسن الخلق، ودفع سيئها»[8]، ويعرف الخلق بأنه هيئة راسخة في النفس، تنشأ عنها الأمور بسهولة، فحسنها حسن وقبيحها قبيح. وهو بهذا التعريف لا يختلف عن كثير من علماء التصوف الإسلامي الذين اعتبروا التصوف علم أخلاق بامتياز؛ فهذا ابن القيم يقول: «اجتمعت كلمة الناطقين في هذا العلم على أن التصوف هو الخلق»[9]. وهذا الإمام الجنيد البغدادي يعرف التصوف بأنه: «استعمال كل خلق سني، وترك كل خلق دني»[10]. بل لقد اشتهرت في هذا الباب أن «من زاد عليك في الخلق، فقد زاد عليك في التصوف»[11].

ومن الجدير بالذكر ههنا أن الأخلاق في تجربة الشيخ لم تكن مجرد نظريات فلسفية، وإنما كانت تجربة وممارسة عملية؛ إذ «التحلي بأخلاق الإيمان ليس ضربًا من العلوم النظرية كباقي العلوم الأخرى، وإنما هو عملية ذوقية ووجدانية، وهو أمر لا يكتسب إلا بالتربية والممارسة»[12].

---

[8] زروق، قواعد التصوف، ص 101، القاعدة رقم 29.

[9] ابن القيم، مدارج السالكين، (القاهرة: دار الحديث، 2005م)، 2/ 258.

[10] الجنيد البغدادي، تاج العارفين، الطبعة الثالثة، (بيروت: دار الشروق، 2007م)، ص 151.

[11] عبد الكريم القشيري، الرسالة القشيرية، الطبعة الثانية، (بيروت: دار الجيل، 1990م)، ص 242.

[12] اسماعيل راضي، التخليق بين قراءة النص المسطور والأخذ عن أصحاب الصدور، مجلة قوت القلوب، العدد المزدوج 2-3 (2013م)، ص9.

وفي نظره أن الأخلاق النفسانية لا تعتبر بالعوارض الخارجية إلا من حيث دلالتها عليها؛ ومن الأمثلة التي يضربها لذلك مثال البخل والسخاء. يقول رحمه الله: «فالبخيل من ثقل عليه العطاء، ولو لم يبق لنفسه شيئًا، والسخي من سهل عليه العطاء، ولو لم يعط شيئًا»[13].

وبناء على ذلك يقسم الأخلاق إلى قسمين: أخلاق جبلية وأخرى مكتسبة؛ فأما الأولى فقد تحدث عنها في القاعدة [179]؛ حيث أشار إلى أن النفس مجبولة على بعض الأخلاق، ومن ثم فهي جبلية في الجميع ولا يصح انتفاؤها؛ غير أنه يبقى التفاوت فيها بين الناس من حيث القوة والضعف، ومن حيث كذلك تحويلها عن مقصدها الأصلي إلى مقاصد أخرى، ومن ذلك الطمع مثلًا؛ فالنفوس كلها مجبولة عليه، لكن المقصود الشرعي منه هو أن يتعلق القلب بما عند الله، توكلًا ورجاء، وأن يحرص على الدار الآخرة بدلًا من الحرص على الدنيا.

وأما كون بعض الأخلاق والمحاسن تكتسب بالتمرن فقد أشار إليه في القاعدة [188]، حيث يقول: «اكتساب الأخلاق عند الحاجة إليها بزوال ضدها متعذر إلا بتوطين متقدم، وإلا تعب مريدها فيه»[14]. مستدلًّا على ذلك بحديث: «**إنما العلم بالتعلم، وإنما الحلم بالتحلم، ومن يطلب الخير يعطه، ومن يتق الشر يوقه**»[15].

---

[13] زروق، قواعد التصوف، القاعدة [178]، ص240.

[14] المصدر السابق، ص 251.

(15) أخرجه أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصفهاني، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، (القاهرة: مطبعة السعادة، 1394 هـ - 1974م)، 5/ 174، وأحمد بن الحسين البيهقي، شعب الإيمان، تحقيق د. عبد العلي عبد الحميد حامد، الطبعة الأولى، (الرياض: مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي، 1423 هـ - 2003م)، حديث رقم (10254)، ويوسف بن عبد الله ابن عبد البر، جامع بيان العلم وفضله، تحقيق أبو الأشبال الزهيري، الطبعة الأولى، (السعودية: دار ابن الجوزي، 1414 هـ - 1994م)، حديث رقم (903) من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه.

المبحث الثاني
مجالات المقاصد الأخلاقية عند الشيخ زروق

نظرًا لوفرة المادة الأخلاقية التي تضمنها الكتاب ارتأيت أن أقسمها منهجيًّا إلى ثلاثة أقسام: وهي أخلاق المتصوف في علاقته بربه، وفي علاقته بنفسه، وفي علاقته بالخلق؛ وهذا التقسيم مأخوذ من كلام نقله زروق عن شيخه الحضرمي في خاتمة الكتاب: «ارتفعت التربية بالاصطلاح، ولم يبق إلا الإفادة بالهمة والحال، فعليك بالكتاب والسنة، من غير زيادة ولا نقصان، وذلك جار في معاملة الحق والنفس والخلق، فأما معاملة الخالق فثلاث: إقامة الفرائض، واجتناب المحرمات، والاستسلام للأحكام. وأما معاملة النفس فثلاث: الإنصاف في الحق، وترك الانتصاف لها، والحذر من غوائلها في الجلب والدفع، والرد والقبول، والإقبال والإدبار، وأما معاملة الخلق فثلاث: توصيل حقوقهم لهم، والتعفف عما في أيديهم، والفرار مما يغير قلوبهم، إلا في حق واجب لا محيد عنه»[16]؛ وكأني بالشيخ زروق – وهو ينقل هذا الكلام عن شيخه– يلخص المعالم الكبرى للتصوف الإسلامي.

المجال الأول: أخلاق المتصوف في صلته بالحق سبحانه:

إن التصوف الذي يؤصل له الشيخ زروق ليس تصوف الشطحات والرموز، وإنما هو التصوف الذي «قصد لإصلاح القلوب وإفرادها لله عما سواه»[17]. ومن ثم كان أول ما يؤكد عليه الشيخ في علاقة الإنسان بخالقه سبحانه هو تحقيق الإخلاص، إذ لا يمكن لأي عمل أن يقبل من صاحبه إلا إذا مخلصًا فيه؛ وهو كما يعرفه هو أن يفرد العبد قلبه لله تعالى، ويتخلص من كل ما ينافي ذلك من رياء وعجب وطمع فيما بأيدي الناس؛ فهذه كلها نواقض الإخلاص.

وخلافًا لما يظنه بعض الناس من أن إظهار العمل يتنافى مع الإخلاص يذهب زروق إلى أن إظهار العمل وإخفاءه عند تحقق الإخلاص أمران سيان، إذ المقصد قد تحقق؛ ونحن حينما نرجع إلى القرآن نجد آيات كثيرة تتحدث عن هذا؛ فالله تعالى يشير في سورة

---

[16] زروق، قواعد التصوف، ص286.

[17] المصدر السابق، ص26.

«البقرة» إلى أن إبداء الصدقات وإخفاءها أمران فيهما خير، إذ لا يتناقضان عندما يكون القصد هو وجه الله.

وبناء على ذلك يحدد مفهوم الصوفي بأنه «العامل في تصفية وقته عما سوى الحق»، ومن المعلوم أن الحديث عن التصفية هو حديث عن إخلاص النية، وهذا ما يؤكده في القاعدة [11]، حيث يبين أن أهمية التصوف لذي توجه صادق، أو عارف محقق، أو محب مصدق، أو طالب منصف، أو عالم تقيده الحقائق، أو فقيه تقيده الاتساعات؛ فإذا لم يكن كذلك فليس بمتصوف.

ولما كان الإخلاص متعلقًا بالعمل كان لا بد من أن نتساءل: ما الباعث أصلًا على هذا العمل؟ ونحن نتصفح الكتاب نجد الجواب في القاعدة [212]، وفيها يرى الشيخ زروق أن من بواعث العمل وجود الخشية: وهي –كما يعرفها –تعظيم يصحبه مهابة، ويعلل ذلك بأن «مبدأ خشية الله تعالى التي هي نتيجة معرفته، ومقدمة اتباع أمره وغايته، إفراد القلب له تعالى»[18].

ومما يقتضيه إخلاص العمل لله تحقيق الحب له ولرسوله؛ وقيمة الحب بهذا المعنى كفيلة بأن تجعل الإنسان سعيدًا في الدنيا والآخرة؛ إذ لا يتذوق حلاوة الإيمان إلا المحبون المخلصون، وقد جاء في الحديث: «**ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار**»[19]. فالحب بهذا المعنى «علامة كمال العمل على رضا المحبوب، فإن خرج عن كل وجه يرضيه فلا، وبعض التقصير لا يضر [...] والمحب

---

[18] زروق، قواعد التصوف، ص27.

[19] أخرجه البخاري في الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه= صحيح البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الطبعة الأولى، (القاهرة: دار طوق النجاة، 2001م/1422هـ)، باب حلاوة الإيمان، الحديث رقم (16)، ومسلم، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم= صحيح مسلم، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ط)، باب بيان خصال من اتصف بهن وجد حلاوة الإيمان، حديث رقم (67).

لا يرضى بمخالفة حبيبه، فهو لا يمكن منه الإصرار، وإن غلب بشهوة ونحوها بادر لمحل الرضا من التوبة والإنابة»[20].

ومما ينبغي للمتصوف تحقيقه بعد الإخلاص لله التزام التقوى، وغاية ذلك-كما يقول صاحب الكتاب- هي: «التمسك بالورع، وهو ترك ما لا بأس به -مما يحيك في الصدر - حذرًا مما به بأس [...] ومنه التورع عن اليمين في الحق بالحق من غير إكثار»[21]. وقد استدل على ذلك بقول النبي صلى الله عليه وسلم: «**لا يبلغ العبد حقيقة التقوى حتى يدع ما حاك في الصدر**»[22]. ويزيد المسألة وضوحًا عندما يتحدث عمَّا يحتاجه الشيخ المربي، فيبين أن ذلك «لا يتم له إلا بورع صادق في تصرفه، نتيجة عدم رضاه عن نفسه، وزهد كامل نشأ عن حقيقة إيمانية تهديه لترك ما سوى الحق سبحانه، وتأدب كامل بمن صح أدبه»[23].

ومن كمال التقوى - يقول الشيخ - وجود الاستقامة، وهي: «حمل النفس على أخلاق القرآن والسنة[...] ولا يتم أمرها إلا بشيخ ناصح، أو أخ صالح يدل العبد على اللائق به لصلاح حاله، إذ رب شخص ضره ما انتفع به غيره»[24].

ومن تلك الأخلاق نجده يتحدث عن تحقيق حمد الله وشكره، وحسن التوكل عليه في السراء والضراء، وكذلك الرضا عنه بالقناعة، بالإضافة إلى استحضار مراقبته في السر

---

(20) زروق، قواعد التصوف، القاعدة [212]، 279.

(21) المصدر السابق، ص90.

(22) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: بني الإسلام على خمس... 1/ 10، موقوفًا على عبد الله بن عمر رضي الله عنهما. وأخرجه مرفوعًا الترمذي في الجامع الكبير، تحقيق: أحمد محمد شاكر ومحمد فؤاد عبد الباقي وإبراهيم عطوة عوض، الطبعة الثانية، (مصر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، 1975م/1395هـ)، حديث رقم (3451) من حديث عطية السعدي رضي الله عنه بنحوه. وقال: حديث حسن غريب.

(23) أحمد زروق، عدة المريد الصادق، تحقيق: الصادق بن عبد الرحمن الغرياني، (بيروت: دار ابن حزم، 2006)، ص 5.

(24) زروق، قواعد التصوف، القاعدة [64]، ص 91.

والعلن، وهذا هو مقام الإحسان، الذي اعتبره مقام التصوف، يقول رحمه الله: «فأصل التصوف مقام الإحسان الذي فسره رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك»[25].

ويلخص الشيخ زروق ذلك كله في جملة من الضوابط التي بها يتمكن المؤمن من إصلاح قلبه وتحصين نفسه من الآفات؛ وعلى رأس ذلك حفظ حرمة الربوبية، يقول رحمه الله: «فإذا عقدت مع الله عقدًا إياك أن تحله إلا أن يحله عليك الشرع بوجه لا خلاف فيه ولا تردد، وإذا عزمت مع الله تعالى في شيء فلا تتوقف حتى تمضيه، ولا تؤخر طاعة وقت لوقت فتعاقب بفوتها أو بفوت مثلها، ولا تقدم على أمر حتى تعلم حكم الله فيه جملةً وتفصيلًا، فإن من لم يحفظ الحرمة فقد أعان الشيطان على نفسه»[26].

المجال الثاني: أخلاق المتصوف في علاقته بنفسه:

من المعلوم في تاريخ الفكر الإسلامي أنه وقع خلط كبير في تحديد مفهوم النفس، والتمييز بينه وبين مفهوم الروح؛ بحيث صار من العسير التمييز بينهما في كثير من الأحيان، وزروق ذاته لا يقدم لنا تمييزًا واضحًا بينهما؛ وهو في كل أعماله يشير إلى النفس على أنها عنصر الشر في الإنسان، ويتحدث عنها في مواجهة القلب الذي هو محل الطهر والنقاء ووسيلة الخلاص.

ونستطيع من خلال إشارات الشيخ أن نستنتج أن النفس تكون طاهرة في مرحلة ما قبل الولادة، فإذا ما صارت عنصرًا في الجسد أصبحت سجينة المادة، ونسيت كل ما هو خير، ثم انغمست في عالم الشهوات والنزوات، ومن هنا نجده يشير إلى التصنيف المعروف للنفس، فيصنفها إلى نفس مطمئنة، ونفس لوامة، ونفس أمارة.

ومن جملة ما ينبغي للمتصوف أن يجتهد في تحصيله أن يكون قلبه صافيًا من الشواغل والشواغب؛ وهو ما اعتبره –رحمه الله–خلقًا أساسيًّا للتصوف، فعند حديثه عن الفراسة باعتبارها نورًا إيمانيًّا ينبسط على القلب، بيَّن أن الفراسة «لا يهتدي لحقيقتها إلا من صفا

---

[25] المصدر السابق، ص17.

[26] زروق، عدة المريد الصادق، ص 219.

قلبه من الشواغل والشواغب»[27]. فعلى المرء ألا يشغل باله بالدنيا على حساب الآخرة، وهذا عين الزهد في الدنيا، وهو كما يعرفه الشيخ زروق «برودة الشيء على القلب حتى لا يعتبر في وجوده ولا في عدمه»[28]. وبهذا يصحح المفهوم على أنه ليس ترك الدنيا، وإنما هو إخراجها من القلب، والانتفاع بها دون إقتار ولا اسراف؛ وهذا مظهر من مظاهر الوسطية والاعتدال في فكره رحمه الله، وقد أكد الصادق بن عبد الرحمان الغرياني أن الشيخ «تميز بسلوك منهج القصد والإنصاف والوسطية بين الإفراط والتفريط»[29].

وأصل منهج الوسطية هذا من القرآن والسنة؛ فالله تعالى يأمر الإنسان ألَّا يجعل يده مغلولًا، وألَّا يبسطها كل البسط، وإنما يكون وسطًا بين ذلك، وهذه هي الوسطية الحقيقية، وحينما نرجع إلى الأحاديث النبوية نجد النبي صلى الله عليه وسلم مثلًا يأمرنا بالقصد في الغنى والفقر، فهذا أيضًا جانب من الوسطية في الوحي، وهكذا في كثير من النصوص.

ولما كان الإنسان معرضًا للخطأ كان لا بد له من محاسبة نفسه، حتى يعرف قدرها، ويتمكن من تصحيح أخطائه بالتوبة والإنابة، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖ﴾ [الحشر: 18]. وفائدة ذلك كما يقول زروق رحمه الله: «معرفة المرء بنفسه وتواضعه لربه، ورؤية قصوره وتقصيره»[30]. وفي مقابل ذلك يدعو إلى عدم الانشغال بعيوب الآخرين وإشاعتها بين الناس، إذ «ليس لمسلم أن يفضح مسلمًا إلا في موجب حكم بقدره، من غير تتبع لما لا تعلق له بالحكم، ولا ذكر عيب أجنبي عنه»[31]. ومما استدل به على ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم: «**لا تظهر الشماتة بأخيك فيعافيه الله**

---

[27] زروق، قواعد التصوف، القاعدة [156]، ص 212.

[28] المصدر السابق، ص 228.

[29] زروق، عدة المريد الصادق، ص 5.

[30] زروق، قواعد التصوف، القاعدة [190]، ص 253.

[31] المصدر السابق، ص271

ويبتليك»[32]. كما استدل بحديث: «**من ستر مسلمًا ستره الله في الدنيا والآخرة**»[33].

وأمام هذا الاهتمام الكبير بالنفس باعتبارها العقبة التي تقف أمام تحقيق الأخلاق يمكن القول بأن الشيخ زروق عالَمَ نفسٍ إسلامي بامتياز، ولا أدل على ذلك من حرصه الكبير على التحذير من النفس، والكشف عن عيوبها ووصف الدواء الناجع لها.

المجال الثالث: أخلاق المتصوف في علاقته بالخلق:

إن توطين النفس على معاملة الناس بمحاسن الأخلاق هو من مسلَّمات الدين التي من أجلها بعث النبي صلى الله عليه وسلم، والشواهد النصية على ذلك أكثر من أن تعد وتحصى؛ إذ القرآن الكريم كله دعوة لحسن التعامل مع الناس، كما أن حياة النبي صلى الله عليه وسلم جسدت هذا التعامل ومثلته حق التمثيل.

وإذا كان الرجل في نظر الإسلام لا يمكن أن يُعرَف إلا من كلامه وتصرفه وطبعه، فإنها في نظر الشيخ تتعرف كلها من مغاضبته، فإن لزم الصدق وآثر الحق وسامح الخلق فهو ذاك وإلا فليس هناك[34]، فعلى المرء أن يتحرى الصدق في أقواله وأفعاله، ونحن حينما نقرأ وصية النبي صلى الله عليه وسلم: «**عليكم بالصدق، فإن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة، وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقًا، وإياكم والكذب، فإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، وما يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابًا**»[35]،

---

[32] أخرجه الترمذي في الجامع الكبير، حديث رقم (2506) من حديث واثلة بن الأسقع رضي الله عنه بنحوه. وقال: هذا حديث حسن غريب.

[33] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر، حديث رقم (2699) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

[34] زروق، قواعد التصوف، القاعدة: [144]، ص 195.

(35) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب قول الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ [التوبة: 119] وما ينهى عن الكذب، حديث رقم (6094)، ومسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والآداب، باب قبح الكذب وحسن الصدق وفضله، حديث رقم (2607) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

ندرك إلى أي مدى يحتاج المؤمن أن يكون صادقًا، ومما ينبغي الإشارة إليه ههنا أن حديث الشيخ عن الصدق ليس حديثًا عنه في القول والفعل فحسب، بل حتى في البحث، ذلك أن: «المسبوق بقول إن نقله باللفظ تعين العزو لصاحبه، وإلا كان مدلسًا»[36].

وبالإضافة إلى الصدق ينبغي للمؤمن أن يتحلى بقيمة التعاون مع الخلق، ذلك أن «التعاون على الشيء ميسر لطلبه، ومسهل لمشاقه على النفس وتعبه، فلذلك ألفته النفوس، حتى أمر به على البر والتقوى، لا على الإثم والعدوان». وهو في نظر الشيخ عين التواضع، ومن ثم فإن علم التصوف لا ينبغي أن يؤخذ إلا ممن تواضع؛ لأن «الكبر طابع لمنع من فهم الآيات والعبر»[37].

ومما ينبغي أن يتصف به كذلك مع الناس خلق الصبر، وهنا يركز الشيخ على الصبر على كل ما ليس له أثر في الخارج الحسي من المضار، كالقول والظن، لقوله تعالى: ﴿فَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾ [طه: 130]. فليصبر على أذى الناس، وليعفو وليصفح، فإن العفو –كما يقول زروق–هو «عين الواجب، ومقتضى عز المؤمن وقيامه بحق الشرع والطبع الكريم»[38]. ومما استدل به من القرآن قوله تعالى: ﴿فَمَنۡ عَفَا وَأَصۡلَحَ فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [الشورى: 40]. ومن الحديث قول النبي صلى الله عليه وسلم: «**من مكارم الأخلاق أن تعفو عمن ظلمك**»[39]. وأعلى درجة من ذلك في نظر الشيخ أن يدفع المرء بالتي هي أحسن لقوله تعالى: ﴿ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيۡنَكَ وَبَيۡنَهُۥ عَدَٰوَةٞ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٞ﴾ [فصلت: 34]، فهذا خلق رفيع الدرجة، لا يمكن للعبد أن يحققه ما لم يتخلص من حظوظ النفس، وهذا ما تشير إليه الآية الكريمة.

---

(36) زروق، قواعد التصوف، القاعدة [194]، ص 258.

(37) المصدر السابق، ص 44.

(38) زروق، قواعد التصوف، القاعدة: [183]، 246.

(39) أخرجه أحمد في مسنده، حديث رقم (17334، 17452)، وسليمان بن احمد الطبراني في المعجم الكبير، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، الطبعة الثانية، (القاهرة: مكتبة ابن تيمية، د. ت)، 17/ 269، حديث رقم (739) من حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه بنحوه. وقال الهيثمي في مجمع الزوائد 8/ 188: وأحد إسنادي أحمد رجاله ثقات.

الخاتمة

من خلال هذه القراءة السريعة القاصدة إلى استخلاص قصدية الأخلاق في التربية الصوفية من خلال كتاب «قواعد التصوف» يمكن تسجيل الخلاصات الآتية:

- التصوف الإسلامي عند الشيخ زروق هو تصوف الأخلاق؛ إذ الغاية منه هي إصلاح القلوب وتزكيتها، وتربية النفوس على مكارم الأخلاق، وهو كذلك مقام الإحسان المذكور في حديث جبريل.
- لا يكون المرء متصوفًا حقًّا حتى تتحقق فيه مجموعة من الأخلاق فيما بينه وبين الله، وفيما بينه وبين نفسه، وأيضًا في تعامله مع الناس.
- التربية الصوفية الإسلامية هي التربية التي تنطلق من الوحي، ولا تتعارض مع ما يستنبط منه من أحكام فقهية، ومقاصد شرعية.
- كل الأخلاق التي يشترطها الشيخ في المتصوف، سواء في علاقته بالله أو بالنفس أو بالغير نجدها حاضرة في نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية، فهي بذلك ليست من اجتهاد أحد، إنما هي أخلاق الوحي.

قائمة المراجع

القرآن الكريم.

أحمد بابا التنبكتي، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، تحقيق وتقديم: عبد الحميد عبد الله الهرامة، الطبعة الثانية، (طرابلس: دار الكاتب، 2000م).

البخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري. تحقيق محمد زهير بن ناصر الناصر، الطبعة الأولى، (القاهرة: دار طوق النجاة، 2001م/1422هـ).

البيهقي، أحمد بن الحسين، شعب الإيمان، تحقيق: عبد العلي عبد الحميد حامد، الطبعة الأولى، (الرياض: مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي، 1423 هـ - 2003 م).

الترمذي، محمد بن عيسى، الجامع الكبير، تحقيق: أحمد محمد شاكر ومحمد فؤاد عبد الباقي وإبراهيم عطوة عوض، الطبعة الثانية، (مصر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، 1975م/1395هـ).

الجنيد البغدادي، تاج العارفين، الطبعة الثالثة، (بيروت: دار الشروق، 2007م).

الحاكم، محمد بن عبد الله، المستدرك على الصحيحين، تحقيق: عادل مرشد، وأحمد برهوم، ومحمد كامل قرة بلي، وسعيد اللحام، الطبعة الأولى، (بيروت: دار الرسالة العالمية، 1439 هـ - 2018م).

الحليمي، هشام، مدرسة الشيخ زروق في الإصلاح الصوفي: التصورات والمبادئ، مجلة قوت القلوب، العدد المزدوج 5–6 (2015م).

خشيم، علي فهمي، أحمد زروق والزروقية: دراسة حياة وفكر ومذهب وطريقة، الطبعة الثالثة، (ليبيا: دار المدار الإسلامي، 2002م).

راضي، إسماعيل، التخليق بين قراءة النص المسطور والأخذ عن أصحاب الصدور، مجلة قوت القلوب، العدد المزدوج 2–3 (2013م).

زروق، أحمد، عدة المريد الصادق، تحقيق: الصادق بن عبد الرحمن الغرياني، الطبعة الأولى، (بيروت: دار ابن حزم، 2006م).

زروق، أحمد، قواعد التصوف، ضبط وتعليق: محمود بيروتي، الطبعة الأولى، (دمشق: دار البيروتي، 2004م).

ابن عبد البر، يوسف بن عبد البر، جامع بيان العلم وفضله، تحقيق: أبو الأشبال الزهيري، الطبعة الأولى، (السعودية: دار ابن الجوزي، 1414هـ - 1994م).

القشيري، عبد الكريم، الرسالة القشيرية، الطبعة الثانية، (بيروت: دار الجيل، 1990م).

ابن القيم، شمس الدين، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، (القاهرة: دار الحديث، 2005م).

ابن ماجه، محمد بن يزيد، سنن ابن ماجه، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الطبعة الأولى، (مصر: دار إحياء الكتب العربية، فيصل عيسى البابي الحلبي، د. ت).

مسلم، مسلم بن الحجاج القشيري، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم = صحيح مسلم. تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، د. ت).

أبو نعيم، أحمد بن عبد الله الأصبهاني، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، (القاهرة: مطبعة السعادة، 1394 هـ - 1974 م).

Refrefences:

al-Qur'ān al-Karīm.

Ibn al-Qayyim, Shams al-Dīn. *Madārij al-Sālikīn bayna Manāzil Iyyāka Na'budu wa-Iyyāka Nasta'īn*. Cairo: Dār al-Ḥadīth, 2005.

al-Bukhārī, Muḥammad ibn Ismā'īl. *al-Jāmi' al-Musnad al-Ṣaḥīḥ al-Mukhtaṣar min Umūr Rasūl Allāh wa-Sunanuh wa-Ayyāmuh = Ṣaḥīḥ al-Bukhārī*. Edited by Muḥammad Zuhayr ibn Nāṣir al-Nāṣir. 1st edition. Cairo: Dār Ṭawq al-Najāh, 2001/1422 AH.

al-Tirmidhī, Muḥammad ibn 'Īsá. *al-Jāmi' al-Kabīr*. Edited by Aḥmad Muḥammad Shākir, Muḥammad Fu'ād 'Abd al-Bāqī, and Ibrāhīm 'Aṭwah 'Awaḍ. 2nd edition. Egypt: Sharikat Maktabat wa-Maṭba'at Muṣṭafá al-Bābī al-Ḥalabī, 1975/1395 AH.

al-Junayd al-Baghdādī. *Tāj al-'Ārifīn*. 3rd edition. Beirut: Dār al-Shurūq, 2007.

al-Qushayrī, 'Abd al-Karīm. *al-Risālah al-Qushayrīyah*. 2nd edition. Beirut: Dār al-Jīl, 1990.

Zarrūq, Aḥmad. *'Uddat al-Murīd al-Ṣādiq*. Edited by al-Ṣādiq ibn 'Abd al-Raḥmān al-Gharyānī. 1st edition. Beirut: Dār Ibn Ḥazm, 2006.

Zarrūq, Aḥmad. *Qawā'id al-Taṣawwuf*. Edited and annotated by Maḥmūd Bayrūtī. 1st edition. Damascus: Dār al-Bayrūtī, 2004.

Muslim, Muslim ibn al-Ḥajjāj al-Qushayrī. *al-Musnad al-Ṣaḥīḥ al-Mukhtaṣar bi-Naql al-'Adl 'an al-'Adl ilá Rasūl Allāh = Ṣaḥīḥ Muslim*. Edited by Muḥammad Fu'ād 'Abd al-Bāqī. Beirut: Dār Iḥyā' al-Turāth al-'Arabī, n.d.

Ibn ʻAbd al-Barr, Yūsuf ibn ʻAbd al-Barr. *Jāmiʻ Bayān al-ʻIlm wa-Faḍluh*. Edited by Abū al-Ashbāl al-Zuhayrī. 1st edition. Saudi Arabia: Dār Ibn al-Jawzī, 1414 AH/1994 CE.

Ibn Mājah, Muḥammad ibn Yazīd. *Sunan Ibn Mājah*. Edited by Muḥammad Fu'ād ʻAbd al-Bāqī. 1st edition. Egypt: Dār Iḥyā' al-Kutub al-ʻArabīyah, Fayṣal ʻĪsá al-Bābī al-Ḥalabī, n.d.

Abū Nuʻaym, Aḥmad ibn ʻAbd Allāh al-Iṣbahānī. *Ḥilyat al-Awliyā' wa-Ṭabaqāt al-Aṣfiyā'*. Cairo: Maṭbaʻat al-Saʻādah, 1394 AH/1974 CE.

al-Bayhaqī, Aḥmad ibn al-Ḥusayn. *Shuʻab al-Īmān*. Edited by ʻAbd al-ʻAlī ʻAbd al-Ḥamīd Ḥāmid. 1st edition. Riyadh: Maktabat al-Rushd lil-Nashr wa-al-Tawzīʻ in cooperation with al-Dār al-Salafīyah, Bombay, 1423 AH/2003 CE.

al-Ḥākim, Muḥammad ibn ʻAbd Allāh. *al-Mustadrak ʻalá al-Ṣaḥīḥayn*. Edited by ʻĀdil Murshid, Aḥmad Barhūm, Muḥammad Kāmil Qarah Ballī, and Saʻīd al-Laḥḥām. 1st edition. Beirut: Dār al-Risālah al-ʻĀlamīyah, 1439 AH/2018 CE.

Aḥmad Bābā al-Tinbuktī. *Nayl al-Ibtihāj bi-Taṭrīz al-Dībāj*. Edited and introduced by ʻAbd al-Ḥamīd ʻAbd Allāh al-Harāmah. 2nd edition. Tripoli: Dār al-Kātib, 2000.

Khashīm, ʻAlī Fahmī. *Aḥmad Zarrūq wa-al-Zarrūqīyah: Dirāsat Ḥayāh wa-Fikr wa-Madhhab wa-Ṭarīqah*. 3rd edition. Libya: Dār al-Madār al-Islāmī, 2002.

al-Ḥalīmī, Hishām. "Madrasat al-Shaykh Zarrūq fī al-Iṣlāḥ al-Ṣūfī: al-Taṣawwurāt wa-al-Mabādi'." *Majallat Qūt al-Qulūb*, double issue 5–6 (2015).

Rāḍī, Ismāʻīl. "al-Takhlīq bayna Qirā'at al-Naṣṣ al-Masṭūr wa-al-Akhdh ʻan Aṣḥāb al-Ṣudūr." *Majallat Qūt al-Qulūb*, double issue 2–3 (2013).